

الوافي في الوفيات

لسنا وحقك حيص بي ... ص من الأعراب في الصميم .
ولقد كذبتُ عَلاى يحي ... رَ كما كذبتَ عَلاى تميم .
وإنما قيل لهُ حَيدُصَ بَيدُصَ لأنه رأى العامَّة يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد فقال :
مَ للناس في حيص بيص ؟ فبقي ذَلكَ لَقباً لهُ . العرب تقول : وقع الناس في حيص بيص
إذا كانوا في شدَّة واختلاط وسمَّوا ابنه هرج مرج وسمَّوا ابنته دخل خرج . قال ابن خلكان
: قال الشيخ نصر □ بن مجلِّي مشارف المخزن وَكَانَ من الثقات أهلِ السنَّة : رأيت في
المنام عليَّ بن أبي طالب فقلت لهُ : يَا أمير المؤمنين تفتحون مكَّة فتقولون : من دخل
دار أبي سفيان فهو آمن . ثُمَّ يَتَمَّ عَلاى ولدك الحسين يوم الطفِّ مَ تمَّ فقال لي :
أما سمعت أبيات ابن صيفي في هَذَا ؛ فعلت : لا ! .
فقال : اسمعها منه ! .
ثمَّ استيقظتُ فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إليَّ فذكرت لهُ الرؤيا فشقق وأجهش بالبكاء
وحلف ب□ : إن كَانََتُ خرجت من فمي أو خطَّي إلى أحد وإن كنت نظمتهَا إلَّا في ليلتي
هَذِهِ ثُمَّ إنه أنشدني من الطويل :
مَلَاكَنَا فكَانَ الْعَفْوُ مِذَا سَجِيَّةُ ... وَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالِ بِالْذِّمِّ أَبْطَحُ .
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارِيِّ وَطَالَمَا ... غَدَوْنَا عَلاى الْأَسْرَى نَمُنُّ وَنَصْفُحُ .
وَدَسَبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُتَ بَيْنَنَا ... وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالذِّفِّ فِيهِ يَنْصَحُ .
وتوفيَّ الحيص بيص سنة أربع وسبعين وخمس مائة . وَكَانَ إذا سئل عن عمره يقول : وأنا
أعيش مجاوفةً . وَكَانَ يزعم أنَّهُ من ولد أكتم بن صيفي حكيم العرب . وَلَمْ يترك أبو
الفوارس عقباً ومن شعره من الوافر :
إذا شُورَكَتَ في حالٍ بدُونِ ... فلا يغشاك عارٌ أو نفورُ .
تشارك في الحياة بغير خُلفٍ ... اِرْسُطَالِيسُ وَالْكَلبُ الْعَقُورُ .
ومنه من الخفيف :
مِذَا الدُّونَ في الرقابِ حبالُ ... مُحْصَاتُ كَأَحْيُلِ الْخُنَاقِ .
غيرَ أَنَّ التَّحْنِيقَ مُرْدٍ وهذا ... أَلَمٌ مع الدهرِ باقٍ .
فإذا أَخْفَقَ الرِّجَاءُ من الدُّو ... نِ فَأَكْزِمُ بِذَاكَ من إخفاقٍ .
سَوْرَةَ السَّمِّ في التعزُّزِ أَوْلَى ... من شِفَاءٍ بِالذُّلِّ في لدرياقٍ .
ومنه من الخفيف :

اضطرارُ الحُرِّ الكريمِ إلى الدو ... نِ جاز غايةَ الإسرافِ .
لا يشين المجد المنيف ولا ين ... قص قدر الشريف في الإسرافِ .
هل يعاب العطَّار يوماً إذا أص ... بِحَـ ذَا حاجةٍ إلى كتِّافِ .
لمّا ولي المستضيء الخلافة وخلع علّـى وزيره عضد الدين أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء خلع
الوزارة دخل الحيص فأنشد قصيدة منها من الوافر : .
أقولُ وَقَدَ تَوَلَّـى الأُمْرَ حبرُ ... وليُّ لَمْ يَزَلْ أبداً تقيّاً .
وَقَدَ كُشِفَ الظلامُ بمستضيءٍ ... غدا بالخلق كلاهمُ حفيّاً .
وفاض الجودُ والمعروفُ حَتَّـى ... حسبناه حَباباً أو أتـيّاً .
بَلَاغُنَا فوقَ مَا كُنَّا نُرَجِّـى ... هنيئاً يَا بني الدنيا هنيئاً .
سألنا ۞ يَرْزُقُنَا إماماً ... نُسرُّ بِهِ فَأعطانا نبيّاً .
فأجازه عنها القرية المعروفة بالمستطرفية من نواحي بهرس فقال فيه من أبيات من
الخفيف : .
يَا إمامَ الهدى علّوتَ علّـى ... الجودِ بملٍ من فضّة ونضارِ .
فوهبتَ الأعمارَ والأمنَ والبُلُ ... دانَ في ساعةٍ مَضَّتْ من نهارِ .
فماذا أُثني علّـىكَ وَقَدَ جاوزتَ فضلَ البحُّورِ والأمّطارِ .
الخطيري الورّاق